Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)



ظواهر للطبيعة تافهة وضئيلة وخسيسة، ليست هناك حيوانات قبيحة وممسوخة. ويشرح العربي ـ البدوي بطريقته الخاصة، العالم الخارجي المحيط به ويفسره، وبشرحه له، أي بالأحرى، بتوضيحه من خلال الصورة، لا يستخدم المقاييس الفلسفية المجردة، التي لا يعرف أياً منها إطلاقاً، بل يوضح ذلك بالصور والتعبيرات الفنية.

ويستمد من العالم الخارجي، المحيط به ذخيرة هذه الصور، وبمساعدة هذه الصور يدرك المعاني المجردة، والصفات الإنسانية. ويُفهم الكرم عنده من خلال الصورة الواضحة للمطر الغزير، الذي يعطي الأرض الخصب، ومن خلال الغيوم الماطرة، والبرق، الذي يسبق الرعد والمطر، وعلى العكس، يدرك البخل كجفاف دائم. فالبخيل هو «الرجل براحتي كفيه الجافتين». و «الأيدي الرطبة المبتلة الندية» ـ صورة غير سلبية، بل إنها أعلى درجات المنح والسخاء. ولهذا يلعب المنظر الطبيعي هذا الدور الكبير في الشعر العربي القديم. ومثل هذا الدور يلعبه أيضاً وصف عالم حيوانات الصحراء، هذا الوصف الذي يدخل جزءاً محدوداً في القصيدة، مع وصف المنظر الطبيعي، مؤلفاً معه جزءاً موحداً كاملاً.

إن أجزاء الوصف هذه مكتسبة لصفات الإنسان، حتى إنها تطرح الفكرة التالية. أليس هذا الجزء انعكاساً، وبغية لرمز القبيلة وشعارها؟. لكن الواقع يثبت أن القبائل، التي تحمل أسماء الحيوانات [بنو أسد (أولاد الأسد)، بنو كلاب (أولاد الكلبة)، بنو يربوع، بنو فهد، بنو نمر، بنو قريش (أولاد كلب البحر، قرش)..... إلخ]. لم تعد في هذه المرحلة تفهم وتدرك مع حيواناتها التي هي شعار لها، بل بالعكس فإن إشاراتهم القبلية لا تتوافق مع تسميات هذه الشعارات والرموز، فقد